اكتشاف اثر فينيقي

الاب سبستيان رتڤال اليسوعي مدرّس الآثار الكتابية في مكتبنا الشرقي

هو أثر جديد تزفّهُ الى قرّائنا الشرقيين يقتبسون منهُ ثلاث فوائد: تصويرهُ الصناعي ثمّ معرفة كتابتهِ القديمة وآخرًا الاطلاع على بعض تاريخ الدين الفينيقي

كنّا نشرنا هذا الاثر لاوّل مرّة منذ بضعة اشهر في مجلّة الكتابات والفنون في باريس (١ وشرحنا على عجالة الكتابة الفينيقيّة المرقومة عليه. فأورى تفسيرنا زناد الافكار وكتب بعض العلماء فيهِ ملحوظاتهم فرأينا ان نعودَ الى هذا البحث في مجلّة المشرق ونزيد كلامنا ايضاحًا. والاثر المذكور هو اليوم في باريس ولا شكّ انهُ سيُنظم في سلك الكتابات الساميّة (CIS) التي يُنشر هناك مجموعها

فشائع من امر هذا الاثر انهُ وُجد في صور او باحرى في نواحي صور. ويزيد ذلك انهُ شبيه من حيث صورتهِ وكتابتهِ بالآثار المكتشفة سابقًا في تلك الجهات مباشرةً من صور الى البصّة

وبيان الاثر المذكور ٤٧ سنتمترًا في علوّه الجمالي وهو منحوت في حجر كلسي خشن نكتهُ صلد ويمثّل شبه عرش صغير. في جانبيهِ صورتا ابي الهول المصريّ جنّحتان وعلى مسند العرش المذكور تصبان متشابهان تتوازى بجوانبهما ويتهيان في اعلاهما بشكل القوس. وعلى كل نصب صورة بشريّة خفيفة النقر. وفي وجهَي الاثرين صورتي ابي الهول وتحت حافة العرش المنقورة على الطراز المصريّ قد نُقش نبات رمزيّ على شبه النقوش المصريّة الاشوريّة التي وُجدت سابقًا في ضواحي صور. وفي اسفل العرش صفيحة يستند اليها الاثر كتبهُ عليه كتابة فينيقيّة نُقرت في الحجر نقرًا حسنًا

وبجمل هذا النقش الذي اثبتنا هنا صورته (طالع الصورة ١) غريب في بابهِ يدلّ على حذق في عاملهِ الّا انهُ خالٍ من الدقّة كثير الخلل لا يراعي قوانين الضبط والموازنة. وصورة ابي الهول لم يتقنها المصور وقد تلف رأسها لكنّ لجنحتها ظاهرة الشكل محكمة

(١ اطلب Comptes rendus de l'Acad. des Inscript. et Belles-Lettres, 1903, p. 589.

الصورة ١ عرش الالهة عشترت مع الكتابة الهيروغليفية التي في اسفله

الريش . وفي نصب الشمال كبش ملقى بشبهه الاعلى . وعلى رأينا انّ الأثر غير كامل تلف منهُ ما فوق النصبين كما يظهر بالمقابلة مع اثر آخر يشبههُ وهو كرسيّ صغير وقف عليهِ ريبان في لمّ العدد (١ وقطعهُ محفوظة في متحف اللوفر (٢ محطّمةً الّا انّ المهندس البارع طوبوا (Thobois) قد سعى في تركيبها على اصلها واثبت صورة عملهِ في كتاب بعثة فينيقية (Pl. LIII.) فاذا هي غاية في الضبط والاحكام . واذا امعنتَ النظر في مسند هذا الكرسيّ وجدتَ فيهِ كوّةً مجنّحة في اعلاه . فلا ريبَ ان ذلك الاثر كان مزداناً كأثرنا بنصب منحوت في نفس الصخر او بتمثال أحد الآلهة المركوز عليهِ ومثل هذا النقش شائع في العاديات الشرقيّة . فكثيرًا ما ترى عليها ولاسيما على القصوص الفينيقيّة صورة احد الآلهة جالساً على عرش مع صورتي ابي الهول في جانبيهِ . وقد وجد صاحب السعادة حمدي بك في صيداء صورة هيكل صغير على الطراز المصريّ اثبتها في الكتاب الذي أنشأهُ مع المسيو ت . ريناخ في مدفن صيداء الملكي (٣ وهي تؤيد قولنا بنوع واضح . فانّ هناك صورتين لابي الهول تربضان داخل المعبد ومن مقدمتها تنتشر اجنحتها على شكل مسند لعرش صغير فيهِ مشكاة تمثال بعض الآلهة وفي كل هذه الآثار كان يلعب ابو الهول دورًا ثانويًا استعير من الرموز الاشوريّة والمقصود بهِ ان يُظلّل ويحرس النبات المقدّس الذي يصوَّر فيها (٤

وما يجعل لهذا الاثر الجديد شأنًا خصوصيًا انك ترى على عرش واحد نصبين يمثل احدهما تمثالًا الهيًا اي الإلهة عشتروت والآخر صورة المتعبد لها المتوسّل اليها بالكتابة (٥

*

علمنا بنا الآن بسبب وصفنا للأثر نذكر الكتابة التي عليهِ . وهذه الكتابة تامّة لم يسقط منها سوى قسم من آخر حرف السطر الاول وقد كنتُ اطلعت عليها قبل تنظيف الحجر من اوساخهِ فرجّحت كون الحرف المطموس فيها شينًا فينيقيّة (ש) ثمّ رجّحت كونهُ باء (ב) بعد تنظيف الحجر فقرأتُ على هذا النحو:

---

١) قد دعا ريبان وبعض المتبوعين من بعدهِ هذا المكان باسم امّ العواميد . والصواب كما رأينا

٢ اطلب كتاب بعثة فينيقية Mission de Phénicie, p. 707

٣) اطلب Une Nécropole royale à Sidon, p. 45

٤) راجع بعثة فينيقية لريبان (ص ٧٧١) ٥) طابع الصورتين (ص ١٦٨)

לרבתי עשתרת אשר בני תקרם
אשר לי אנך עבדבעל בן בדבעל

ونشرتها على هذا النمط :

لربّتي عشترت التي (هي مصوّرة) في الداخل قُرّب
الذي لي (اي صورتي) انا عبدبعل بن بدبعل

يريد صاحب الكتابة انهُ قرّب للإلهة عشترت المثّلة في داخل الاثر صورتهُ تقرُّبًا منها وتعبُّدًا لها. على انَّ هذا التفسير أدّى بي الى القول بانَّ الفعل قرّب ورد هنا شاذًّا على صورة (תקרם) في وزن أفعل على خلاف ما عُرف حتى اليوم من الكتابات الفينيقيَّة التي يبتدئ فيها وزن أفعل بالبرد (ק) اي الياء وكانوا يلفظونها كالهمزة المكسورة. فرجّحتُ قراءتي هذه مؤقّتًا. ولما سافرتُ الى باريس حضرة الاب لويس جلابرت وحضر جلسة المكتب العلمي المنعقدة في ٥ تشرين الاوّل سنة ١٩٠٧ قرأ هناك ما سطّرتهُ بخصوص هذه الكتابة الجديدة مع مقالة اخرى قدّمها حضرتهُ باسمه عن كتابة يونانيَّة وُجدت حديثًا في دير الزور

لمّا افترقنا لبثتُ ان رحلتُ من بيروت الى فلسطين متوجّهًا الى القدس الشريف على طريق السامرة. وانا في السامرة اذ خطرت على بالي الكتابة الفينيقيَّة واللفظة المشوعة نمل الباء (ב) فيها شين (שׁ) والراء (ר) دال (ד) فتكون اللفظة التي قرأتها « عقرب » (עקרב) هي في الحقيقة « عقدش » (עקדש) ومعناها القدس وليست الهاء سوى اداة التعريف في الفينيقيَّة . وعليهِ يكون معنى الكتابة هكذا :

لربّتي عشترت التي في داخل القدس (١
الذي لي (٢ انا عبدبعل بن بدبعل

ولكن ما امكنني اذ ذاك ان ابتَّ الامر دون مراجعة رسم الطبع الذي اخذتهُ عن الحجر واتحقّق صحّة هذه القراءة الجديدة التي كانت لاحت لي في اوّل مشاهدتي لذلك الاثر قبل تنظيفهِ . فبقيتُ مرتابًا في تصحيحي الذي عرضتهُ على المجمع العلمي مرجّحًا

١) اي في داخل الاثر المقدّس
٢) اي الذي قدّستهُ لها

لبطلانه لاسيما اني وجدتُ معنىً ثانياً للفظة «حقرب» (𐤇𐤒𐤓𐤁) على افتراض صحتها اذ يمكنها ان تكون اسماً مع ادلة التعريف بمعنى القربان والتقدمة .

فلمَّا بلغ بي السير الى القدس الشريف حيث اطلعني البريد على الجرائد والرسالات التي وردت باسمي في مدَّة سفري علمتُ بان العلَّامة الاثري الشهير كلرمون غانو لدى سماعه تفسير الكتابة الفينيقية المذكورة اعترض عليها وفسَّرها تفسيراً مباينًا لتفسيري فعلى رأيه انَّ صاحب الكتابة عبدبست قصد بها «تقدمة هذا العرش لعشتروت الساكنة في معبده الخاص» فنقلت الجرائد كلام الاثري المنوَّه به واردفتهُ بقولها انَّ للسيو كلرمون غانو يرى في هذه الكتابة دليلًا على «حضور عشتروت الحقيقي» في معبد عبدبست. لكن هذه الفقرات الواردة في الجرائد لم تُطلعني بالتمام على فكر ذلك المستشرق البارع ولم يمكني وقتئذ ان اكتب لهُ لأعرض عليه رأيي الحديث اذ كان على وشك السفر الى مصر ليواصل حفرياته بجزيرة اسوان كما ذكرهُ في مقالتهِ الاخيرة (المشرق ١١: ١٢٦)

فلمَّا رجعتُ الى بيروت كان اوَّل فكري ان اعيد النظر في رسم الطبع الذي اخذتهُ عن الكتابة الحجريَّة فتحققت انَّ اللفظة المشبوهة يمكن قراءتها كما قلتُ اعني «حقدش» (𐤇𐤒𐤃𐤔) وانَّ تفسيري الثاني هو الصحيح وليس من داعٍ يُوجب القول بما ارتآهُ السيو كلرمون غانو. وكتبتُ في ١٧ تشرين الثاني لاحد اعضاء المجمع العلمي في باريس علمهُ بتفسيري الاخير الذي أعجبهُ لكنهُ لم يعلنهُ في المجمع العلمي الَّا في جلسة ٢٤ كانون الثاني

ومنذ بضعة ايام قد وصل اخيرًا الى يدنا عدد نشرة المكتب العلمي الذي دوَّن فيهِ قول السيو كلرمون غانو (ص ٦٠٦) . فسرَّني كون جنابهِ استدلَّ على اللفظة المشبوهة فقرأ كما قرأتُ بعد مراجعة رسمي الخاص «حقدش» (𐤇𐤒𐤃𐤔) بدلًا من حقرب (𐤇𐤒𐤓𐤁) لكنَّهُ في ما خلا ذلك يوافق تفسيرهُ ما قلناهُ آنفًا عن الجرائد. وهذا تفسيرهُ معرَّبًا :

لربَّتي لعشترت التي في داخل المقدس
الذي لي (اي الذي ينتمي) انا عبدبست بن بدبل

فاخذ جناب المفسر لفظة «قدش» بمعناها الشائع في العبرانية في قول التوراة (𐤒𐤃𐤔

קדשי הקדשים) « قدس الاقداس » اي مقدس الهيكل . نتج من هذا التفسير ان الالهة عشترت كانت « حاضرة » حضوراً حقيقياً في داخل معبد (בבת) عبدبست ولكنني كما قلت سابقاً لا ارى هذا التفسير موافقاً للواقع للاسباب الآتية :

١ً لانَّ الفينيقيين كانوا يطلقون لفظة القدس (קדש) على اي معبد كان . اما العبرانيون فالمرجح عندي انهم كانوا يقصدون بلفظتي قُدس الاقداس (קדש הקדשים) معنى مجازياً لا بل اطلقوا كغيرهم لفظة القدس (קדש) على كلّ معبد (١

٢ً لا اعرف لقول المسيو كلرمون غانو عن حضور الالهة عشترت شخصياً داخل معبد عبدبست سنداً يقينياً . نعم اننا نعلم بان الوثنيين كانوا يجعلون لكل إله من آلهتهم مركزاً حقيقياً سواء كان في التماثيل او في الحجارة او في السماء او في الجحيم ولكن لم نجد اثراً حتى اليوم يثبت كون الوثنيين كانوا يتخذون المعابد لاسيما المعابد الخاصة لمقام احد الآلهة خارجاً عن تمثال او مذبح او حجر يثوب عنه في ذلك المعبد

٣ً انَّ لفظة בת (اي في الداخل) تدلُّ دلالةً مادّيةً اوضح على العرش تسهِ حيث تُمثَّل صورة عشترت

٤ً كذلك لا نوافق جناب المسيو كلرمون غانو في ترجمة אשר לי ب « بمعنى « الذي لي » اي يخصني . لانَّ عبدبست ما كان محتاجاً الى ايضاح هذا الامر في معبد خصوصيّ اصطنعهُ لنفسه . ولو اراد ذلك لألحق بلفظة בת ضمير المتكلم وهو في الفينيقية الياء كبقيّة اللغات السامية فكتبها בתי (بيتي) دون زيادة . وعلى رأينا انَّ للفظتين معنى آخر خاصاً بهما في هذا الاثر فيريد بقوله « الذي قدّمتهُ » او « الذي نصبتهُ » او ايضاً « الذي صنعتهُ » على افتراض ان صاحب الكتابة هو ايضاً صانع الأثر والامر محتمل . وعلى كلّ حال ما كان عبدبست ليصرّح بذكر ملكيه للاثر بل وهو معبدهُ الخاصّ كما قال المسيو كلرمون غانو

٥ً ولن قيل بل كان هذا الاثر منصوباً في هيكل عشترت او غيرها لقينا مشكلاً آخر واعظم في شرح المسيو كلرمون غانو لانهُ يلزم القول بان عبدبست قدّم هذا الاثر كنذر للإلهة عشترت في هيكل مع أنَّ الالهة ساكنة في معبدها

(١) اما בת קדש קדשים اي مقام القداسة فمن الواضح انهُ يرادف لفظة קדש (القدس) لا غير

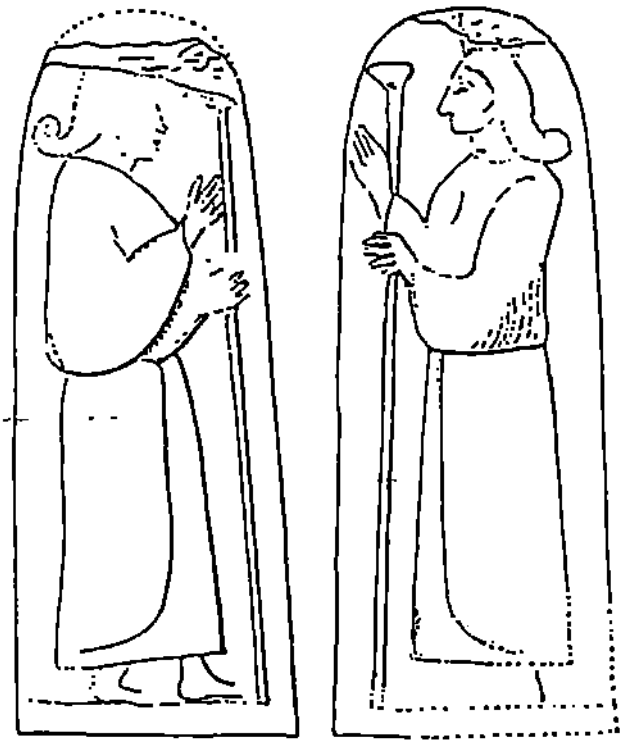

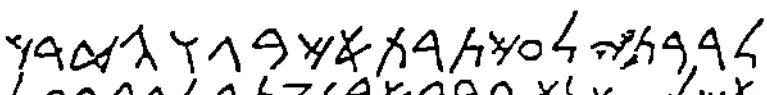

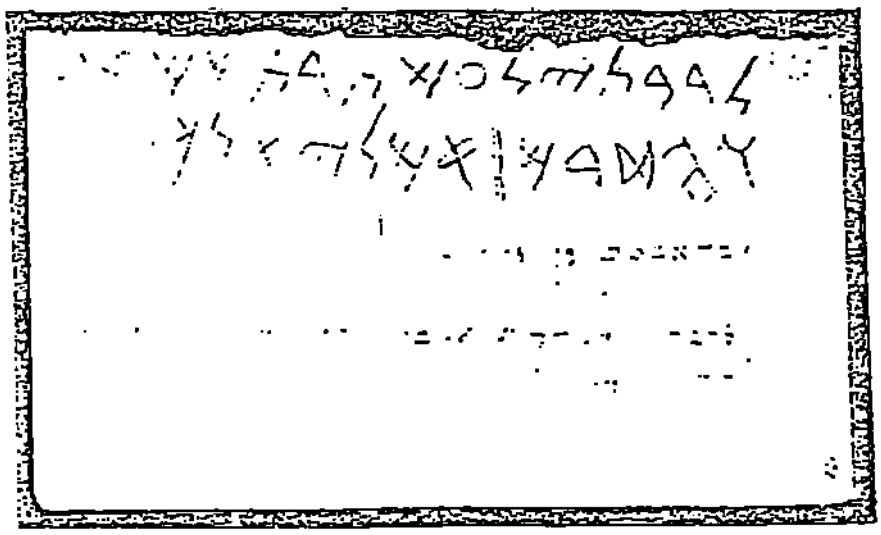

الصورة ٢ رسم النصين مكبرًا مع رسوم الكتابة

الخاص (١). وفي هذا الزعم من مشاكل ما لا يخفى. وهذا ما حمل المسيو غانو على القول بأنَّ الاثر بقي في معبد عبدبست الخاص وينسب الى الفينيقيين المتأخرين مذهباً دينيًّا جديدًا لم يُعرَفوا به اعني قولهم بوجود الآلهة شخصيًّا في فضاء معابدهم

٦ ولعلَّ للكتابة شرحاً آخر مخالفاً لشرحنا ولشرح جنابه. فانَّ اللفظة (لي) في الفينيقيَّة ثلاث معانٍ فمعناها «لي» كما في العربيَّة ثمَّ معناها «له» ثم «لها» فانَّ حرف اليود ' يدلُّ على المتكلم والغائب والغائبة على سواء. فمن المحتمل ان يكون معناها «لها» اي لعشترت ومن ثمَّ يكون التأويل:

لربَّتي عشترت التي في القدس
الذي لها. انا عبدبست بن يدبل

وخلاصة المعنى انَّ عبدبست اهدى لربَّته عشترت هذا القدس اي هذا العرش الذي هو كرسيُّها او الذي اصطُنع لاجلها. فمعنى ברך العرش نفسهُ كما في الشرح المتقدم

وهذا التفسير اعرضهُ على العلماء دون القطع بصحَّته قصدي به ان ابين ما للكتابة من المعاني العديدة التي يمكن القول بها وانَّ رأي المسيو كلرمون غانو لا يجوز التسليم به الَّا اذا انسدَّت بقيَّة الابواب في وجه الشارح لانهُ ينسب كما قلت لفينيقيين رياً دينيًّا غير معهود

وفيما انا اسطِّر هذه المقالة ورد عليَّ كتاب من باريس يفيدني بان الاثري الشهير المسيو فيليب برجه (Ph. Berger) عاد الى ذكر كتابتنا في جمعيَّة باريس العلميَّة وعرض على اعضائه شرحاً شبيهاً بشرحنا. هذا ما بلغني دون زيادة في الافادة

ذلك ولا نختم مقالتنا دون ذكر اكبر مشكل يمكن ان يُعترض به على تفسيرنا. فلقائل ان يقول ان تفسير الكتابة يستدعي تأخير اسم الاشارة على اسم القدس فيقال «لربَّتي عشترت التي في داخل [هذا] القدس ...» واسم الاشارة في الفينيقيَّة هو حرف الزاي (ז) يؤخرونهُ على الاسم اعني هنا على (קדשת)

انا نسلم بقوَّة هذا الاعتراض لكنهُ يشمل تفسيرنا وتفسير المسيو كلرمون غانو معاً. ويُستنتج منهُ انَّ الاثر المذكور لم يُجعل في معبد صاحب الكتابة ولكن في موضع آخر اتي في بعض الهياكل على خلاف ما اثبتنا

(١) وهذا القول يصحّ سواء كان الجذر المذكور في داخل هيكل الآلهة او في حرمها ليس في بيت عبدبست

فنجيب على هذا الاعتراض بقولنا انَّ الكتابة كما تُرى اليوم خاليـة من اسم الاشارة فاني فجعتها فحصاً مدقّقاً قبل تنظيفها وبعده فلم اقف على غير ما وصفت في كلامي السابق لكن رأيي الخاص يحملني على القول بانَّ اسم الاشارة سواء كان وحده (ז) او مع اداة التعريف (הז) كان مرقوماً على الحجر وانما طُمس كما طُمس نصف حرف الشين (ש) في كلمة «هقدش». ومما يؤيد رأيي انَّ للكتابة في جهة الشمال هامشاً اوسع منهُ في جهة اليمين وهناك مكان كافٍ لزيادة حرف او حرفين: ولا مانع من وضعهما في آخر السطر لأنَّ الفينيقيين في كتاباتهم كانوا عادةً يكتبون السطر السابق دون ميلان نزول السطر الذي يليه. وعليه نظنُّ انَّ الكتابة الاصليَّة كانت تتضمَّن اسم الاشارة اي «هذا القدس»

*

وكنَّا نودّ ان نتحرّ هذه المجالة بعض الملحوظات في ديانة الفينيقية استناداً الى الكتابة السابق ذكرها لكنَّنا خوفاً من الاطالة المملَّة نوجز كلامنا في ذلك الى فرصة أخرى بعد ذكر تاريخه وبيانه. فنلحظ في احد آراء السير كرمون غانو

اما تاريخ هذا الاثر فانهُ سابق لعهد المسيح بلا مرية وهو يتراوح بين القرن الثاني والقرن الرابع قبل الميلاد ولعلَّهُ فقط من القرن الثاني لانَّ صورة حرف القاف (ק) فيه حديثة فهي تشبه القاف المرقومة على بعض النقود الفينيقيـة في ارواد التي هي من القرن الثاني (١). ومن المحتمل ان الاثر اقدم من ذلك يرتقي الى القرن الثالث او الرابع قبل المسيح حتى عهد الاسكندر ذي القرنين

اما ما اردنا ان نستلفت اليه النظر من آراء العلامة كرمون غانو غير ما حتم به مقالتهُ في صدد الاثر المذكور. قال جنابهُ انَّ هذا الأثر جاء مؤيداً لمذهب ذهب اليه سابقاً في العرش والذبح عند القدماء. وكان حضرة الكاتب اثبت في مجموعه الاثري (RAO, IV, 247) بانَّ الشعوب السامية كغيرها من الامم الوثنيَّة كانت تعتبر في بعض الاوقات العرش الذي هو كرسي احد الآلهة بمثابة المذبح الذي يُقرَّب عليه القرابين لذلك الاله. وربما اعتبروا هذا المذبح الذي كان عرشاً يجلس عليه الاله

(١) راجع بحثنا المنشور في المشرق (٨: ٢٣٣) وهو كتابة فينيقية وجدت في جزيرة مالطة (CIS, I. 123: ومتشبهة ذ اهل صيد

ويُظهر فيه التوأمات لعابديه كنفس الاله فأقاموا للذبح مقام الاله . ومما يدعم هذا الرأي انهم وجدوا في نواحي حلب كتابة مخسوبة « للاله مذبح » . فرأى المسيو كلرمون غانو في اثرنا الجديد سنداً جديداً لهذا المذهب

(قلنا) ان صح هذا الرأي اعني قيام العرش مقام المذبح فما بال المسيو كلرمون غانو خالفهُ بعض المخالفة اذ جعل حضور الالهة ليس في نفس الاثر لكن في معبد عبديست الخاص . فان كانت الالهة عشترت تتخذ العرش كمذبحها فيكون هذا العرش ايضاً محل مقامها وليس في معبد عبديست الخاص ومن ثم يجب تفسير لفظة « في داخل القدس » (בתוך הקדש) بمعنى وجود الالهة في ضمن الاثر وليس في معبد آخر

هذا ما رأينا تدوينهُ اليوم وسنعود ان شاء الله الى هذا البحث . وكفى بقولنا دليلاً على ما لاثرنا من الخطر لمعرفة الديانة النينيتية وعسى مواطنينا يلقون آثاراً أخرى تزيدنا علماً باحوال هذه البلاد في سالف الاعصار (١

البارون فيكتور فون روزن

المستشرق الروسي العلّامة الشهير

بقلم الاستاذ الاديب انطون خشاب
مدرس اللغة العربية الحديثة في كلية بطرسبرج الامبراطورية

في صباح النهار الثالث والعشرين من شهر كانون الثاني غربي قد انتقل الى رحمته تعالى المستشرق الروسي الشهير عضو الاكاديمية العلمية الامبراطورية الروسية واستاذ اللغة العربية في قسم اللغات الشرقية بكلية بطرسبرج البارون فيكتور فون روزن اثر علة لم تمهلهُ الا قليلاً وكان الاحتفال بجنازته في نهار السادس والعشرين في كنيسة الكلية الامبراطورية فشيعهُ الى مدفنهِ جمعٌ غفير من العلماء واعظم الاعيان

(١) قد قضينا مذكرة سفرنا وهذه المقالة تحت الطبع فوجدنا ان ما رسمناه فيما من الكتابة قبل تنظيفها الكامل يُظهر جلياً وجود حرف الشين التينيتي في آخر السطر الاول . ولذا قطعنا من دفترنا الصفحة الموجود فيها الرسم المذكور وهو بقلم الرصاص فطبعناه مع باقي التصاوير لزيادة الايضاح (طالع الصورة ٣)